بطريركية الأقباط الأرثوذكس
أسرة خريجي الكلية الإكليريكية بالإسكندرية
مركز البابا كيرلس عمود الدين للدراسات اللاهوتية

باسم الثالوث القدوس

كورس لاهوت عقيدي (ميلاديات)

المحاضرة الثامنة

التقليد في المفهوم الأرثوذكسي – بيشوي فخري

- ليس المقصود بالتقليد المحاكاة Imitation إنما المقصود به التسليم Tradition وهي ترجمة للكلمة اليونانية παραδόσεις بارادوسيس 'Paradosis " وتعنى الأمور المسلمة من يد إلى يد from hand to hand، فهي تحمل معنى العطاء أو التسليم في اليد، وعندما نقول تسلم فلان "مقاليد وظيفته " فنحن نعنى أن هناك شخصا آخر سلمه مهام وظيفته، وأوضح له كبيعتها وحدودها وسلطاتها، وقد ترجم البروتستانت كلمة التقليد إلى تعليم Teaching كما جاء في (١كو ١١: ٢، ٢ تس ٣: ٦)
- التقليد هو حياة الكنيسة من جيل الى جيل .. حفظها الاباء وعمل فيهم الروح القدس.. هو الاتحاد بالمسيح من خلال الروح القدس وفعل نقل الحق ليس بالكتابة فقط بل بالحياة الجديدة في المسيح... واستحضار الماضي في الحاضر وامتداد الحاضر في الغد بدون تشوهات...
- التقليد اسبق للكتاب المقدس المدون...والكتاب هو حفظ الكتاب...والكتاب هو الجزء المدون من التقليد..وليس هناك فصل بين الكتاب والاعلان .. فالإعلان هو واحد ... **"ففي الكنيسة وحدها يحيا الكتاب المقدَّس، ويعلن من دون أن يجزأ ويصير نصوصًا متفرقة وأمثالًا، أي إن الكتاب أعطى في التقليد"**
- التقليد هو الفيصل في فهم الكتاب ...ولا فهم للكتاب خارج التقليد الكنسي. فالكتاب وحده لا يكفي حتى لفهمه فالكتاب هو ملك للكنيسة ولا يحق لمن خارج الكنيسة ان يفسره ولا يقدر ان يفهمه فهم سليم.
- فرق بين التقليد ... وبين التقاليد (الثقافية والموروثة)..
- يقول Bulgakouv: "التقليد ليس كتابا يسجل لحظة معينة في نمو الكنيسة يقف عندها، بل هو كتاب يكتب باستمرار بواسطة حياة الكنيسة. التقليد مستمر على الدوام، وهو اليوم ليس بأقل منه في الفترة السابقة، فإننا نعيش في التقليد ونوجده. ومع هذا فان التقليد المقدس الخاص بالماضي هو حاضر بالنسبة لنا، يعيش في حياتنا وفي شعورنا... التقليد الكنسي لا يضع صوت الماضي كبديل لصوت الحاضر، فالماضي في التقليد لا يقتل الحاضر بل يعطيه كماله
- الكنيسة الأرثوذكسية –خاصة كنيسة الإسكندرية– قد حافظت أكثر من غيرها على التقليد المقدس في تفاصيله كما في روحه. ولعل سر هذا ما تتمتع به كنيستنا من عدم التدخل في السياسة، وعدم توليها أي سلطان زمني. لقد عاشت الكنيسة بروحانياتها بعيدة عن روح العالم. وقد حفظت ظهور الحركة الرهبانية تقليد الكنيسة بروح خشوعي إنجيلي نسكي...
- لا يمكن فصل الكتاب المقدَّس عن التقليد، لأن الكتاب المقدَّس كان في الأصل تقليدًا شفهيًا ثم كتب، أي إن التقليد أقدم من الكتاب المقدَّس، والكتاب المقدَّس ولد من خلال التقليد إذ تحول التقليد الشفاهي إلى نص مكتوب، ولذلك نستطيع أن نقول إن الكتاب المقدَّس قد أعطى لنا من خلال التقليد، ومجال عمله في الكنيسة. أول محاولة لفصل الكتاب المقدَّس عن التقليد جاءت من خلال الهراطقة الذين قدموا سيلا من آيات الكتاب المقدَّس وفسروها كما يحلو لهم بناء على رؤيتهم الخاصة دون الالتزام برؤية وإيمان الكنيسة، إنما فسروا هذه

الآيات بما يخالف التقاليد الكنسية، فسقطوا في الهراطقة. بينما قدم آباء الكنيسة تفسيرات عديدة في عصور متباينة ولكنهم جميعا التزموا بالفكر الكنسي الواحد المستقر في الكنيسة فأبدعوا وأخرجوا لنا جددا وعتقاء من تأملات تشبع الروح وتغذى العقل وتشبع الفكر.

- جوهر التقليد الذي نركز عليه عند دراستنا لمحتوياته، التي هي:
  - رسالة الإيمان بالثالوث القدوس وعمل الله الخلاصي.
  - أعمال السيد المسيح وأقواله.
  - أسفار العهد القديم.
  - المنهج الروحي والسلوكي في المسيح يسوع.
  - منهج العبادة: مفهومه ونظامه.
- **الكتاب المقدس يشهد لوجود تقليد**:

١ + هابيل الصديق وتقدمته قربانا لله (تك٣: ٤)؟ ممن أين عرف فكرة الذبيحة؟ ومن أين أتاه هذا الإيمان..؟

٢ + كل المحرقات التى قدمها أباؤنا نوح وابراهيم واسحق ويعقوب وايوب (تك٨: ٢٠)، (تك١٢: ٧)،

٣ + نوح، وبعد الطوفان، قدم محرقات على المذبح ممن أين عرف فكرة تقديم الذبائح من الحيوانات الطاهرة (تك٨: ٢٠، ٢١)

٤ + من أين عرف أبونا ابراهيم الكهنوت ملكى صادق (تك١٤: ٢٠) وتقديم العشور له.

٥ + فمن أين عرف ابونا ابراهيم تقديم العشور، إلا عن طريق التقليد.

٦ + من اين عرف أبونا ابراهيم عبارة (بيت الله) وفكرة التدشين بصب الزيت على الحجر الذى أمامه عموداً (تك١٨).

٧ + ولما أعطى الرب الشريعة المكتوبة، وابقى التقليد أيضاً (خر١٣: ١٤ – ١٦، تث٤: ٩) فقد أمرهم أن يميزوا أولاده بقصة ومناسبة تكريس كل بكر فاتح رحم للرب.

٨ + وحتى في المسيحية نرى أن بعض كتبة العهد الجديد كتبوا بعض معلومات عن العهد القديم أخذوها بالتقليد: السامرين اللذين قاوموا موسى ينيس ويمبريس (٢تى٣: ٨)

- **الكتاب لم يذكر كل شيء**

ونفس المعني يطلق علي قول الرب لتلاميذه (اذهبوا إلي العالم أجمع، واكرزوا بالإنجيل للخليقة كلها) (مر١٥: ١٦). كل ذلك خارج النطاق المكتوب.

لم يذكر كل ما فعله السيد المسيح، ولا كل ما قاله.. وإنما الذي حدث هو أن الإنجيليين اختاروا بعضاً من أقوال السيد المسيح ومن أعماله وسجلوها في وقت ما للناس، وتركوا الباقي. وهذا واضح في أخر إنجيل قد كتب، إذا يقول القديس يوحنا الرسول (وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع، إن كتبت واحدة فواحدة، فلست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة) (يو٢٥: ٢١) كما يقول أيضاً (وآيات آخر كثيرة صنعها يسوع قدام تلاميذه لم تكتب في هذا الكتاب. وأما هذه فقد كتبت لتؤمنوا أن يسوع المسيح، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياة باسمه) (يو٢٠: ٣٠،٣١).

- **بالتقليد حفظت كلمات المسيح وأعماله:**

بالتقليد تسلمنا الأناجيل المقدسة التي تحوى أعمال السيد المسيح وكلماته، لكن ليست كل أعماله ولا كل أقواله، كما ذكرنا أيضًا هنا في موقع الأنبا تكلا هيمانوت في أقسام أخرى. إذ يختم معلمنا يوحنا الحبيب إنجيله بقوله: "وأشياء أخر كثيرة صنعها يسوع إن كتبت واحدة واحدة لست أظن أن العالم نفسه يسع الكتب المكتوبة" (يو ٢١:٢٥).

لقد سمع التلاميذ والرسل أقوالًا كثيرة، حفظوها وعاشوها، لكن لم يسجلوها بكليتها في الأناجيل، نذكر على سبيل المثال ما قاله الرسول بولس:

"هكذا أيضًا أمر الرب أن الذين ينادون بالإنجيل من الإنجيل يعيشون" (١كو ٩:١٤).

"أما المتزوجون أوصيهم لا أنا بل الرب أن لا تفارق المرأة رجلها" (١كو ٧:١٠.

لقد تقبل الرسول بولس هذه الوصايا والأقوال الربانية عن التلاميذ والرسل الذين سمعوا الرب، وبالروح عاشوها وحفظوها وأودعوها آخرين.

أما من جهة أعمال المسيح فإننا نجد الرسول بولس يقول: "لأنني تسلمت من الرب ما تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضًا أن الرب Kyrios يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزًا..." (٢كو ١١:٢٣). لم يستلم الرسول هذا العمل من الرب مباشرة ليلة آلامه، لكن كما يقول Cullmann Oscar إن كلمة "كيريوس" هنا تشير إلى "التقليد الشفهي" الخاص بالرب يسوع. حقًا لقد تقبل الرسول رؤى وإعلانات مباشرة، لكنه تسلم هذا العمل من الرب خلال الكنيسة. والعجيب أن الليتورجيات الأولى، كتلك التي وردت في "التقليد الرسولي للقديس هيبوليتس" حملت عبارات الرسول بولس في "الرشومات" أو "قصة التأسيس"... ولعل سر هذا إن التقليد الرسولي لهيبوليتس قد عكس لنا تقليدًا عامًا في الكنيسة، عنه أخذ الرسول بولس، وعنه أيضًا أخذت الليتورجيات الرسولية جميعها.

- **أمر الرسل بحفظ التقاليد**

وقد أمر الآباء الرسل بحفظ التقاليد:

فقال الرسول "إذن أيها الأخوة تمسكوا بالتقليدات التي تسلمتوها سواء بالكلام أو برسالتنا" (٢تي ٢: ١٥) (ترجمة البروتوستانت: إِذًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ وَتَمَسَّكُوا بِالتَّعَالِيمِ الَّتِي تَعَلَّمْتُمُوهَا، سَوَاءٌ كَانَ بِالْكَلاَمِ أَمْ بِرِسَالَتِنَا).

وقال أيضاً "تجنبوا كل أخ يسلك بلا ترتيب، وليس حسب التقليد الذي أخذه منا" (٢تس٦: ٣).

قال لأهل كورنثوس "أمدحكم علي أنكم تذكرونني في كل شئ، وتحفظون التقليدات التي سلمتها إليكم" (١كو٢: ١١).

"لا نقدر أن نقول الكتاب المقدَّس يتمتع باكتفاء ذاتي، لا لأنه ناقص أو غير تام أو غير دقيق، بل لأنه في جوهره لا يدعى أنه هكذا. لكن نقدر أن الكتاب نظام أوحى به الله.. عندما نعلن أن الكتاب مكتف بذاته نجعله عرضة لتفاسير غير موضوعية وكيفية ونفصله عن مصدره المقدس. فقد أعطيناه في التقليد، وهو (التقليد) مركزه الحيوي والمتبلور.. في أيام المسيحيين الأوائل لم تكن الأناجيل المصدر الأوحد للمعرفة، لأنها كانت غير مدونة بعد. لكن الكنيسة عاشت وفق روح الإنجيل"

- **الآباء والتقليد**

القديس إيريناؤس أن الإكليروس هم حراس التقليد فيقول "والأساقفة أو القسوس كانوا حراسا مفوضين في الكنيسة وخداما للحقيقة التي أودعت فيها، ومن عندهم التصرف اللائق الذي لا عيب فيه، ولمن ينطقون بكلام طاهر لا غش فيه، فهؤلاء يحفظون أيضًا إيمانا هذا بالإله الواحد الذي خلق كل شيء، ويكثرون محبتنا لإبن الله الذي أتم تدبيرا عظيما كهذا من أجلنا، ويفسرون لنا الكتاب من دون خطر ولا يجدفون على الله ولا يزدرون البطاركة ولا يحتقرون الأنبياء" (٤، ٢٦، ٥)

قول القديس باسيليوس الكبير "إن الاعتقادات والكرازات المحفوظة في الكنيسة، منها ما هو مأخوذ من التعليم المكتوب، ومنها ما هو قد تسلمناه مفصلًا من تقليد الرسل، وكلا الأمرين له قوة في العبادة"

قال أوريجانوس إن **التقليد هو مفتاح الكتاب** المقدَّس "التلميذ الحقيقي ليسوع هو ذاك الذي يدخل المنزل أي يدخل الكنيسة، فإن من يدخل الكنيسة يفكر ذات فكر الكنيسة ويحيا كحياتها، بهذا يتفهم الكلمة أنه ينبغي أن نتقبل مفتاح الكتاب المقدَّس من التقليد الكنسي كما من الرب نفسه"

ويقيم القديس **أثناسيوس الحجة على خطأ تفسيرات الهراطقة لأنهم بلا آباء وبلا تقليد** فيقول "لقد أقمنا البرهان على إن هذه القاعدة قد سلمت من آباء إلى آباء، يدا بيد، فأنتم (أيها الأريوسيون) بأي مؤلف تقدرون أن تستشهدوا لتعليمكم"
يقول القديس أثناسيوس الرسولي "إنني سلمت التقليد وفق الإيمان الرسولي الذي تسلمته من الآباء، من غير أن أبتدع شيئا من الخارج. تسلمته مثلما تعلمته من الكتب المقدسة"

وقال القديس إيلاريون **"الكتاب ليس في قراءته، بل في فهمه"**.

يقول أبونا تادرس يعقوب: " لم يودع الرب "كتابًا" بين تلاميذه ورسله، بل بالحري أعد رجالًا يتبعونه ويقبلونه ساكنًا في قلوبهم. لقد أنصتوا إليه وهو يعلم، وتبعوه أينما حل، رأوه يصلي، يهب راحة للشعب، يعامل الخطاة بلطف، يشفي المرضى ويقيم الموتى، رأوه يقيم العشاء الأخير ويهبهم السلام بعد قيامته. وأخيرًا أرسل إليهم روحه القدوس لا ليذكرهم بكلماته وليسندهم ليكونوا مقتفين خطواته فحسب بل بالحري لكي ينعموا بالاتحاد معه ويشاركوه حياته الإلهية.
هذا هو جوهر تقليدنا: إنه "الاتحاد مع السيد المسيح خلال الروح القدس". فإن الله الآب قدم أبنه لنا، وقدم الابن حياته لنا (غلا ٢:٢٠؛ أف ٢:٥).

هذا هو التقليد: "الإيمان المسلم مرة للقديسين" "يه٣"، أو"الإنجيل"مكتوبًا في حياتنا ومنقوشًا في قلوبنا. أنه بالأمر الحي، تسلمناه بواسطة الرسل الذين سلموه لتلاميذهم بعمل الروح القدس، الشاهد للسيد المسيح في حياة الكنيسة، وموحدها مع مخلصها.

بمعني آخر، أن عملية النقل أو التسليم لم تتم بواسطة كتابات الرسل فحسب، بل بالحري قد تحققت بواسطة الروح القدس، الذي قاد مشاعرهم وعبادتهم وسلوكهم وكرازتهم،

- *المبدأ البروتستانتي المضاد للتقليد Sola Scriptura (الكتاب المقدس وحده)*

لا توجد آية واحدة في الكتاب المقدَّس تؤيد المبدأ البروتستانتي "الكتاب المقدس وحده " بل بالعكس إن هناك آيات عديدة تشير إلى التقليد الكنسي وأهميته، فيقول الأب جون واتيفورد "كنا نتوقع أن يأتي البروتستانت بمئات الآيات من الكتاب المقدَّس تثبت أن هذا المبدأ –الذي أسسوا عليه جميع معتقداتهم– صحيح، كنا نرجوا على الأقل أن نجد آيتين أو ثلاثة ليس فيهم شك لإثبات صحة هذا المبدأ، لأن الكتاب المقدَّس نفسه يقول "على فم شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة" (٢كو ١٣: ١) ولكن... يجب أن أقول أنه لا توجد ولا آية واحدة في كل الكتاب المقدَّس تعلم مبدأ Sola Scriptura ولا توجد آية واحدة تقول ذلك ضمنا.

هذا المبدأ يُناقض نفسه:

– لماذا نجد البروتستانت يكتبون كتبا كثيرة جدا عن العقيدة والحياة المسيحية عامة إذا كان فعلا كل ما نحتاجه موجود في الكتاب المقدَّس؟

– إذا كان الكتاب المقدَّس وحده كافيًا لماذا لا نجد نتائج ثابتة، أو بمعنى آخر لماذا لا يوجد إيمان واحد للبروتستانت؟

– ولماذا نجد "تفاسير تطبيقية" (Sindy Bibles) كثيرة إذا كان كل ما نحتاجه هو الكتاب المقدَّس فقط؟ ولماذا نجدهم يوزعون النبذات والكتيبات وغيرها من مادة مكتوبة أو مسموعة أو مرئية؟

– ولماذا يعلمون ويعظون أصلا؟ لماذا لا يقرأون الإنجيل للناس فقط؟

– لماذا ظهرت الاف الطوائف؟

– لماذا يعتبرون كلفن ولوثر ؟

ولإلهنا المجد الدائم مِنْ الْآنَ وإِلَىّ الْأَبَد أمِين